﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

[الإسراء: 65]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين تمكين الشّيطانِ مِنَ الغواية، وحمايةِ الصّالحين مِن سلطانِه

بعد أن ذكرَتِ الآيةُ السّابقةُ وسائلَ إغواءِ إبليسَ لآدمَ، وإرخاءَ العَنانِ له في قوله: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾؛ رجعَ الكلامُ في هذه الآية الكريمةِ إلى مواجهة إبليسَ بما يُحَقِّرُ أمرَهُ، فإنَّ المواجهةَ بالتَّحقير أنكأُ، مُصَرِّحًا بنتيجةِ ذلك، وهي أنَّه غيرُ قادرٍ إلّا بإذنِه سُبحانَه، ومَمنوعٌ عنه ما لم يُقَدِّرْه لهُ، دَفعًا لِما قد يوهِمُه ما مضى من أنَّه يُؤَثِّرُ شيئًا استقلالًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[1].

ولمّا قالَ اللّهُ في الآية السّابقةِ للشَّيطان على سبيل الوعيدِ والتَّهديدِ: افعلْ ما تَقدِرُ عليه؛ جاءَت هذه الآيةُ لرَبطِ جأشِ سائرِ المُكلَّفين بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾، فَخَتَمَ سبحانَه الآياتِ بغرس الطُّمأنينةِ في قلوبِ المُؤمنينَ الصّادقينَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُلْطَٰنٌ﴾: أصلُ الكلمةِ مِنَ السَّلاطَةِ، وهي القوَّةُ والتَّمَكُّنُ والقَهرُ[3]، يُقالُ: سَلَّطَهُ عليه، أي: مَكَّنَهُ مِنهُ، وحَكَّمَهُ فيه، والسُّلطانُ: قُدرةُ المَلِك، وقُدرةُ مَن جُعِلَ ذلك له، وإنْ لم يكن مَلِكًا[4]، سُمّيَ سُلطانًا؛ لأنَّهُ يُكسِبُ المُستدِلَّ به سُلطةً على مُخالفِه ومُجادِله[5]،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 470.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 8/ 392.
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلط).
(4) الخليل، العين: (سلط).
(5) الخليل، العين: (سلط)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 232.

ويأتي بِمعنى الخَليفَةِ، والإمامِ، والقاضي، والسَّليطُ مِنَ الرِّجالِ: الفَصيحُ اللِّسانِ الذَّرِبُ[1]، والسُّلطانُ أيضًا: الوِلايَةُ والحُجَّةُ والبُرهانُ، قال تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقّة: 29]؛ أي: حُجّيَّتُه، والمقصودُ بالسُّلطانِ في الآية: التَّسَلُّطُ والتَّصَرُّفُ المَكينُ، والمرادُ بنفيه بقولِهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ هو الحُكمُ المُستَمِرُّ بحيثُ يكونونَ رعيَّته ومِن جُندِهِ[2].

2) ﴿وَكَفَىٰ﴾: (كفى) أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على الحَسبِ الَّذي لا مُستَزادَ فيهِ، يُقالُ: كَفاكَ الشَّيءُ يَكفيكَ، وقد كَفَى كِفايةً؛ إذا قامَ بالأمرِ[3]، واستكفيتُه أمرًا فكفانيهِ، وكفاكَ هذا، أي: حَسْبُكَ[4]، والكُفْيَةُ: القوتُ الكافي، والجَمعُ كُفًى[5]، والمرادُ بـ ﴿وَكَفَىٰ﴾ في الآية: أجزَأَ وأغنَى عَن غَيرِهِ.

3) ﴿وَكِيلًا﴾: أصلُ (وكل) يدُلُّ على اعتمادِ غَيرِكَ في أمرِكَ، مِن ذلك الوُكَلَةُ، والوكَلُ: الرَّجُلُ الضَّعيفُ[6]، والتَّوكُّلُ يُقالُ على وجهين، يُقالُ: تَوكَّلْتُ لفلانٍ بمعنى: تولَّيتُ لَه، ويُقالُ: وكَّلْتُهُ، فَتَوكَّلَ لي، وتَوكَّلْتُ عليه بمعنى: اعتمدتُه، قال ﷻ: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التّوبة: 51][7]، وواكَلَ فُلانٌ؛ إذا ضَيَّعَ أمرَهُ مُتَّكِلًا على غيرِهِ، وسُمّيَ الوكيلُ بذلك؛ لأنَّهُ يوكَلُ إليه الأمرُ، والمواكَلَةُ: إذا اتَّكلتَ عليه واتَّكَلَ عليكَ[8]، والمقصودُ بالوكيلِ في الآية: فَعيلٌ بمعنى مَفعولٍ، أي: مَوكولٍ إليه، والمرادُ: كافيهم اللّه تعالى أمورَهُم وأسبابَهُم، فمَنِ اتَّخذَهُ وكيلًا؛ كفاه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخاطبُ الحقُّ ﷻ إبليسَ في هذه الآية بقولِه: إنَّ عبادي الَّذين أطاعوني فاتَّبعوا أَمري وعصوك، ليس لك عليهم – يا إبليسُ – تَسَلُّطٌ ولا حُجَّةٌ، ولا تَستطيعُ إغواءَهم أو إضلالَهم،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلط).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 156.
(3) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (كفى)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (كفا).
(4) الخليل، العين: (كفي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كفا).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (وكل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).

عـبـوديـةُ الـلـه والـتَّـوكُّـلُ عليه بيقينٍ، عصمةٌ مِـنَ الشَّيطان اللَّعين

فاللهُ يَحفَظُهم ويَحرُسُهم ويُؤَيِّدُهم، وكفى بربِّك - أيُّها الرَّسول - حافِظًا مِن كيدِ الشَّياطينِ ومَكرِهم، وناصِرًا ومُؤَيِّدًا للمُتوكِّلينَ(1).

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ عبوديةَ اللهِ والقيامَ بالإيمانِ والتَّوكُّلَ على اللهِ ممّا يُعتصَمُ به من فتنة الشّيطانِ الرَّجيم، وإلى حفظِ اللهِ تعالى لأوليائِه وعبادِه الصّالحينَ من نزغات الشَّيطانِ، ونجاتِهم من إغوائِه وأباطيلِه، وهم المؤمنونَ المُتَّقونَ(2).

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل جملة ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ عمّا قبلَها:

الجملةُ من تمام الـكـلامِ المَحكيِّ سابقًا

فُصِلَت جملةُ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنَّها من تمام الكلامِ المَحكيِّ بقوله: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾؛ وهي جُملةٌ مُستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن قوله: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾؛ فإنَّ مفهومَ ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾ و﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ ذرّيَّة آدمَ، من قبيل مفهوم الصِّفة، فيُفيدُ أنَّ فريقًا من ذرّيَّة آدمَ لا يتَّبعُ إبليسَ، فلا يَحتنِكُهُ، وهذا المفهومُ يُفيدُ أنَّ اللهَ قد عَصَمَ أو حَفِظَ هذا الفريقَ مِنَ الشَّيطان، وذلك يُثيرُ سؤالًا في خاطر إبليسَ؛ ليَعلمَ الحائلَ بينَه وبينَ ذلك الفريقِ، بعدَ أن عَلِمَ في نفسِه علمًا إجماليًّا أنَّ فريقًا لا يَحتنِكُهُ لقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62](3)، فجاء الجوابُ المُؤكَّدُ هُنا بعصمة الخُلَّص من عباد اللهِ الصّالحين؛ دَفعًا لِما قد يوهِمُه ما مضى من أنَّه يُؤثِّرُ شيئًا استقلالًا(4)، فلذلك فُصِلَت هذه الجُملةُ عمّا سَبَقَها.

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 666، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 462، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 171.

(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: 462، ومَجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 5/ 780، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 211.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 156.

(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 470.

دلالةُ التَّأكيدِ في صدر الجملةِ الكريمةِ:

مَزيدُ الاعتناءِ بالعبادِ الصّالحين، بتأكيد نجاتِهم من إبليسَ المَهين

ابتدأَ صدرُ الآية الكريمةِ بالتَّأكيد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾، أي: الّذين أخلصوا دينَهُم لي، ليس لك - يا إبليسُ - تسلُّطٌ واقتدارٌ على إغوائهم، وإضلالهم، وصرفهم عنِ السَّبيل الحقِّ إلى السَّبيل الباطلِ، وقد جاء هذا المعنى مُؤكَّدًا هنا، وفي نظائرها مِنَ القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النَّحل: 99]، وقال سُبحانه ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحِجر: 42][1]، وتأكيدُ الحُكمِ مع اعتراف الخَصمِ به لمزيد الاعتناء[2].

سِرُّ اصطفاء لفظ العبوديَّة في الآية:

الدَّلالةُ على تمحُّضِهم للعبادة وتحقيقهم لها

وقعَتِ الإشارةُ إلى تعيين هذا الفريق النّاجي من إغواء الشَّيطانِ وإضلاله بالوصف المُفيدِ للتَّشريف لهم في قوله تعالى: ﴿عِبَادِى﴾ الدّالِّ على أنَّهم تَمحَّضوا لعبوديَّة الله تعالى، كما تدُلُّ عليه الكلمةُ والإضافةُ، فمَن تحقَّقَ بالعبوديَّة لله؛ نجا من سلطان الشَّيطان[3]، فأعظمُ ما يُعتصَمُ به من فتنته، هو عبوديَّةُ الله، والقيامُ بالإيمان[4].

دلالةُ إضافةِ (عباد) إلى ياء المُتكلِّم:

تعظيمُ شأن المُخلَصين في عبادة ربِّهم وتشريفُ مقامِهم

دلَّتِ الإضافةُ إلى ياء المتكلِّم في قوله تعالى: ﴿عِبَادِى﴾ على علوِّ قدرِهم وعظيم إخلاصِهم؛ لذلك كانَتِ[5] الإضافةُ هنا للتَّعظيم، فتدلُّ على وصف العبادِ بالمُخلَصين، كما وقَعَ التَّصريحُ به في الآيات الأخرى؛ "فلهم شرف الانتساب إلى الله تعالى؛ لأنَّهم قاوموا غرورَ الشَّيطان وخداعَه وإغواءَه، فكانوا جديرين بأن يختصَّهُمُ الله بأنَّهم

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 392.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 107.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 156.
(4) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 539.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 471.

عبادُهُ، وإنْ كان الجميعُ عبادًا؛ لأنَّه خلقَهُم، فالطّائعُ والعاصي عبادُ اللّهِ، لكنَّ الاختصاصَ هُنا للطّائعين"[1].

ولقرينة كونِ اللّهِ تعالى وكيلًا لهم يحميهم من شَرِّ الشَّيطانِ، فإنَّ مَن هو كذلك لا يَكونُ إلّا عبدًا مُكَرَّمًا مُختصًّا به تعالى، وكثيرًا ما يُقالُ لِمَن يَستولي عليه حُبُّ شيءٍ، فَينقادُ له: عَبدُ ذلك الشَّيءِ، ومنه عَبدُ الدّينارِ والدِّرهمِ، وفي هذه الإضافة إيذانٌ بعلَّة ثبوتِ الحُكمِ في قوله سبحانَه بعدَ ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[2].

وفيه إشارة إلى أنَّ الآخرين أتباعُ الشَّيطان، فهُم كعبادِه، ولذلك يُقالُ عنهم: عَبدةُ الشَّيطان، وعَبدةُ الطّاغوت[3].

فائدةُ نفي سُلطان إبليسَ على عباد اللهِ المؤمنين:

لَحظُ صفةِ العبوديَّةِ للرَّحمن، وبيان فضلِها في عصمة أهل الإيمانِ

نفى القرآنُ الكريم سلطانَ إبليسَ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ﴾، أي: بوجهٍ مِنَ الوجوه[4]، ونفى السُّلطانَ، وهو الحُجَّةُ والاقتدارُ على إغوائِهم عنِ الإيمانِ، ويدُلُّ على لَحظِ الصِّفةِ قولُهُ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النّحل: 100][5].

سرُّ النَّفي بلفظ ﴿لَيْسَ﴾ دونَ غيرها من أدوات النَّفي:

نفي تمكُّنِ إبليسَ من عباد الله المُخلَصين، ظاهرًا وباطنًا

آثرَ القرآنُ الكريمُ النَّفيَ بـ﴿لَيْسَ﴾ دونَ غيرِها من أدوات النَّفي؛ لأنَّها أبلغُ في النَّفي ومُتمحِّضةٌ فيه، والدَّليلُ على ذلك أنَّ اللّهَ ﷻ لمّا نفى المماثلةَ عن نفسِه؛ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ لذلك كان النَّفيُ بها هنا أولى للدَّلالة على عدم تمكُّنِ إبليسَ من عباد اللّهِ المُخلَصين في الظّاهر والباطن.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4417.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 107.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4417.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 471.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 81.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿لَكَ﴾:

زجرُ إبليسَ والتَّحقيرُ من غَوايته

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؛ لزجر إبليسَ وللتَّحقير من غَوايتِهِ، ولبيان أنَّ ما يفعلُه مع بعض ذرِّيَّةِ آدمَ هو بقدَر اللهِ وإذنه له.

إيثارُ استعمال لفظ ﴿سُلْطَٰنٌ﴾ دونَ غيرِه:

بيانُ قوَّةِ السُّلطانِ في كونه يتسلَّطُ على نفسِ المُعارِضِ ويُقنِعُه

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ السُّلطانِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؛ لدلالته على معانٍ عدَّةٍ؛ أحدها: القوَّة والقهر، ثانيها: الحجَّة والبرهان، ثالثها: الولاية.

فأمّا القدرةُ والقهرُ؛ فليس له عليهم ذلك؛ لأنَّ اللهَ لم يجعلْ له قدرةَ القهرِ عليهم، وكذلك ليس له عليهم الحُجَّةُ فيما يدعوهم إليه، ويأمرُهُم به، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [إبراهيم: 22]، وأمّا سلطانُ الولايةِ؛ فإنَّه له ذلك على مَن اختارَ له اتِّباعَهُ وتوليتَهُ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: 100]، وعلى هذا؛ فالسُّلطانُ المَنفيُّ في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ هو الحُكمُ المُستمرُّ بحيث يَكونونَ رَعيَّتَهُ ومن جُندِهِ، وأمّا غيرُهُم؛ فقد يَستهويهِمُ الشَّيطانُ، ولكنَّهُم لا يَلبثونَ أن يَثوبوا إلى الصّالحاتِ، ويكفي من ذلك دَوامُ توحيدِهِم للّه، وتصديقُهم رسولَهُ، واعتبارُهم أنفسَهم عبادًا للّه، مُتَطَلِّبينَ شكرَ نعمتِهِ، فشتّانَ بينَهُم وبينَ أهلِ الشِّركِ، فالمُؤمنُ لا يتولَّى الشَّيطانَ أبدًا، ولكنَّه قد يَنخَدِعُ لِوسواسِهِ، وهو مع ذلِكَ يلعنُهُ فيما أوقَعَهُ فيه مِنَ الكبائرِ، وبمِقدارِ ذلك الانخِداعِ يَقتربُ مِن سلطانِه[1].

فائدة عطف جملة: ﴿وَكَفَىٰ﴾:

الجملةُ المعطوفةُ من قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ﴾ مُقرِّرةٌ لِما قبلَها، وهذا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 156.

تقريرُ مَضمون الجملةِ السّابقةِ بتعيين الفريقِ النّاجي

التَّقريرُ فيه تعيينٌ للفريق النّاجي من حبائل الشَّيطانِ بالسَّببِ بعدَ تعيينِهم بالوصفِ، فقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ يُفيدُ أنَّهم توكَّلوا على اللّه، واستعاذوا به مِنَ الشَّيطان، فكان خيرَ وكيلٍ لهم؛ إذ حاطَهم مِنَ الشّيطان، وحَفِظَهُم منهُ[1]، وفيه توصيةٌ للمُؤمنين بأن يتوكَّلوا على ربِّهم؛ ليحميَهُم من إغواء الشَّياطين، فمَن توكَّلَ على اللّه؛ كفاه، فصانَه، وحماهُ، وفيه أيضًا التَّذكيرُ بعنصرٍ من عناصرِ القاعدةِ الإيمانيَّةِ، وهو أنَّ اللّه عليمٌ قديرٌ حكيمٌ، لا يجري شيءٌ في الكون إلّا بتقديرِه، أو تمكينِه وإذنِه، فإذا عَلِمَ صحّةَ إيمانِ عبدِه، وصدقِه، وتوكُّلِه عليه؛ وفَّقَهُ للعمل بمَراضيه؛ لأنَّه وليُّه[2].

إيثارُ لفظِ الرَّبِّ في كفاية العبدِ، وإضافته إلى ضمير المُخاطَب:

فيه التفاتةٌ حفظٍ ورحمةٍ إلى نبيِّه، أو توبيخٌ وتنبيهٌ للشَّيطان

اصطفى النَّظمُ المُباركُ لفظَ الرُّبوبيَّةِ في الكفايةِ للعبد، بدلًا من اسم الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾، أي: الموجدِ لك، المُدبِّرِ لأمرِكَ، إذ فيه التفاتةُ حفظٍ ورحمةٍ إلى نبيّه محمَّدٍ ﷺ: بأنْ كفاك - يا مُحمَّدُ - ربُّك حفيظًا، وقيِّمًا بأمرك، فانقَدْ لأمره، وبلِّغْ رسالاتِه هؤلاءِ المُشركين، ولا تخفْ أحدًا، فإنَّه قد توكَّلَ بحفظِك ونصرتِك، على أن تكون الجملةُ مُعترِضَةً في آخر الكلام، فتكونُ كافُ الخطابِ ضميرَ النَّبيِّ ﷺ تَقريبًا للنَّبيِّ بالإضافة إلى ضمير اللّه[3].

وإضافةُ الرَّبِّ إليه - على أنَّ الخطابَ في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ موجَّهٌ إلى الشَّيطان، كما في الجملة السّابقة، أي: وكفى بربِّكَ - أيُّها الشَّيطان - وكيلًا للمُؤمنين من عبادِه، فليعوذوا بي مِن شَرِّكَ، فإنّي أُعيذُهُم منه - للتَّوبيخ والتَّنبيه على أنَّه ضيَّعَ طريقَ السَّدادِ بمُخالفة ربِّه؛ قهرًا له وإلزامًا له بسلطان الرُّبوبيَّةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 156.
(2) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 11/ 547.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 666، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 471، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 157.

الَّذي خَرَجَ بكفرِهِ عن سلطانِه، وأنَّه مَقهورٌ مَخذولٌ، ليس له على عباد اللهِ سلطانٌ، وكذا حال مَن يحذو حذوهُ، فاحذروا عن متابعتِه، واشكروا له على نعمِه الَّتي أنعمَ عليكم[1].

دلالةُ حرفِ الجرِّ الدّاخلِ على كلمة الرَّبوبيَّة:

الزّيادةُ في المَبنَى دالَّةٌ على توكيد معنى التَّوكُّل

وردَتِ الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّكَ﴾ دالَّةً على توكيد أنَّ اللهَ هو المُتولّي تدبيرَ شؤونِ خلقِه بعِلمِه، وكمالِ قدرتِه، وشمولِ حكمتِه، وهو الَّذي تولَّى أولياءَه، فيسَّرَهم لليُسرى، وجنَّبَهم العُسرى، وكفاهم الأمورَ، والتَّركيبُ بدون الباءِ تقديرُهُ: (كفى ربُّك وكيلًا يتوكَّلون عليه)، فهو يكفيهم غرورَ الشّيطان، ويردُّ إغواءَه عنهم؛ لأنَّهم استمسكوا بالعُروة الوثقى، وارتضوا طريقَ الخير طريقًا[2].

سرُّ مجيء جملةِ الكفايةِ بأسلوب الخطابِ الإفراديِّ:

استشعارُ المسؤوليَّةِ الشَّخصيَّةِ في تلقّي خطاب اللهِ

لم يأتِ النَّظمُ في جملة الكفايةِ بصيغة الجمعِ هكذا: (وكفى بربِّكم)، بل جاءَ النَّظمُ القرآنيُّ بصيغة خطابِ المُفردِ في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾؛ وذلك ليَنظُرَ كُلُّ إنسانٍ إلى خاصَّةِ نفسِه، وليَعملْ ما وسِعَهُ العملُ على أن يتوقَّى هذا الشَّيطانَ المُترصِّدَ له، والمُتربِّصَ به، وليَكنْ ممّا يستعينُ به على ذلك أن يتوكَّلَ على اللهِ، وأن يستعينَ به، وليَجعلْ في يقينِه أنَّه من عباد اللهِ، الَّذين لا سُلطانَ للشَّيطان عليهم[3]، فجاءَ الخطابُ في العبارة بأسلوب الخطابِ الإفراديِّ؛ ليشعرَ كلّ مُخاطَبٍ أنَّه موجَّهٌ له من ربِّه ﷻ وعَظُمَ سلطانُه.

إيثارُ لفظ ﴿وَكِيلًا﴾ فاصلةً للآية الكريمة:

مناسبةُ الحفظِ لذكر نفي سلطان إبليسَ على المُخلَصين

وردَت فاصلةُ الآيةِ بقوله تعالى: ﴿وَكِيلًا﴾، أي: حَفيظًا، وقَيِّمًا بأمرِكَ[4]، وهو من أسماءِ اللهِ الحُسنى، فهو سبحانه وكيلُ عبادِه، أي:

(1) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 11/ 547، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 520.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4417.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 520.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 666.

كافيهم أمورَهم وأسبابَهم، فمَن اتّخذَهُ وكيلًا؛ كفاه، يحفظُ كلَّ ما هو وكيلٌ فيه مِن كُلِّ ما يُمكِنُ أن يُفسِدَهُ[1]؛ ذلك أنَّ جميعَ ما يفعلُه مِنَ الخير إنَّما يفعلُهُ مَنفعةً للعباد، فإنَّ الشَّيطانَ، وإنْ كان قادرًا على الوسوسة، فإنَّ اللّهَ أرحمُ بعباده، فهو يدفعُ عنهم كيدَ الشَّيطان[2]، وفي الختم بذكر الحِفظِ مُناسبةٌ لذكر نفي سلطانِ إبليسَ على عباد اللّهِ المُخلَصين.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البرهان والسُّلطان:

البُرهانُ: الحُجَّةُ الفاصلةُ البيّنةُ، يُقالُ: بَرهَنَ يُبَرهِنُ بَرهَنةً؛ إذا جاءَ بحُجَّةٍ قاطعةٍ لِدفع الخَصم، فهو مُبَرهِنٌ[3]، فيُبَرهِنُ بمعنى يُبَيِّنُ، وقد بَرهَنَ عليه: أقامَ الحُجَّةَ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: 111]، وفي الحديث: "والصَّدقةُ برهانٌ"[4]، أي: هي دَليلٌ على صحَّةِ إيمانِ صاحبِها لطيب نَفسِه بإخراجها؛ وذلك لعَلاقة ما بين النَّفس والمال[5].

البُرهانُ الحُجَّةُ الفاصلةُ البيّنةُ، والسُّلطانُ أعمُّ وأشملُ

أمّا السُّلطان عند العربِ؛ فيُطلَقُ على الحُجَّة، ويُذكَّرُ ويُؤَنَّثُ، فمَن ذكَّرَ السُّلطانَ؛ ذَهَبَ به إلى معنى الرَّجلِ، ومَن أَنَّثَهُ؛ ذَهَبَ به إلى معنى الحُجَّة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ [هود: 96]، أي: وحُجَّةٍ بَيِّنةٍ، والسُّلطانُ: الحاكمُ، إنَّما سُمّيَ سُلطانًا؛ لأنَّه حُجَّةُ اللّه في أرضه، أو هكذا ينبغي أن يكونَ[6]، وقوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقّة: 29]؛ معناه: ذهبَت عني حُجَّتي[7]؛ فالسُّلطانُ أعمُّ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 471.
(2) الجاويّ، مراح لبيد: 1/ 631، والعسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 489.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (برهن).
(4) أخرجه مُسلم في صحيحه، برقم: (223)، من حديث أبي مالك الأشعريِّ.
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (برهن).
(6) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 217.
(7) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 10/ 31، وابن جُزيّ، التّسهيل: 2/ 407.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»